الايمـان المطمئن

بقلم
الدكتور: عبد الحليم محمود

« ومن آناء الليل فسبح
وأطراف النهار لعلك ترضى »

— ٥ —

ودين الله نزل صافيا من السماء منذ آدم ، ولكن أهواء البشر غيرت فيه على مر الزمن وبدلت وانحرفت بالكثير منه إلى طريق غير مستقيم يتعارض مع العقل، ولا ينسجم مع المنطق .

ولعل الذين يلحدون ، بسبب العقائد التى انحرفت ، لهم بعض العذر .

فإذا قلت لإنسان : إن التوراة تروى أن الله نزل إلى الأرض كائنا بشريا ، وسار فى مزرعة سيدنا إبراهيم ، دون استئذان صاحب المزرعة ، فلما رأى إبراهيم هذا الغريب يسير فى المزرعة ، فى حرية وعدم مبالاة ، ثار كبرياؤه ، فحصلت بينهما مشادة ، والتحما فى معركة حامية ، أوشك إبراهيم فيها أن يصرع إلهه ، وان يطرحه أرضا ، لولا أن الإله المشفق على نفسه من السوط والهزيمة النكراء ، صارح إبراهيم بحقيقة أمره ، فأطلق سراحه بعد أن أخذ عليه العهود والمواثيق لبنى جنسه .

إذا قلت لإنسان هذا ، فليس من الغريب أن يلحد فى التوارة ، وله العذر إذا ماشك فى الدين الذى يقوم على هذا الكتاب .

وإن أى إنسان مميز ، تقول له عن كائن معين بالذات ، ولد فى يوم محدد وفى شهر معين ، ونشأ كما ينشأ الآخرون . . إذا قلت لإنسان مميز إن هذا الكائن مولود غير مخلوق ، وإنه أزلى ، وإنه واحد ، ومع ذلك فهو ثلاثة فى الوقت الذى هو

فيه واحد ، وواحد فى الوقت الذى هو فيه ثلاثة ، إذا قلت لإنسان ذلك فشك وألحد فى دينه ، فله العذر .

وكلمة القديس أوغسطين : « إنى أومن بهذا لأنه غير معقول » غير مستساغة لدى أصحاب المنطق والتفكير السليم .

ولكن من البداهة أن الشك فى دين معين لايقتضى الشك فى جميع الأديان .

وإذا كان البطلان قدظهر ، بالنسبة لدين خاص ، فليس معنى ذلك أن البطلان يتعدى ذلك إلى غيره .

وكان من الواجب ، إذن ، أن يبحث هؤلاء عن دين لم ينله التحريف والزيف .

وفى الواقع ، بحث كثير منهم فاهتدوا إلى الحق ، واعتنقوا الإسلام . بيد أن طريقهم ـ والحق يقال ـ لم يكن ممهدا .

وهذا الطريق لم يزل للآن غير ممهد ، والمسلمون فى غفلة عن نشر دينهم ، وهى غفلة سيحاسبهم الله عليها حسابا عسيرا !!

حدثونا بالله عن قطر من أقطار الإسلام ، قام بالتبشير للإسلام !!!

حدثونا بالله عن الآلاف من الجنيهات التى أنفقها ملوك المسلمين وأمراؤهم ، فى سبيل الدعوة الإسلامية !!!

— ٦ —

والاستعمار .. لقدحاول الاستعمار أن ينشر الإلحاد فى جميع البيئات الإسلامية.

لقد حاول أن ينشر بالرغبة ، والرهبة ، وحاول أن ينشره بغرس الأمانى والآمال فى نفوس الضعفاء .

ومن المعروف أنه لما فشلت دعوى المبشرين فى أن يعتنق المسلمون المسيحية ، رأى الاستعمار أن يتخذ فى كل قطر إسلامى دعاة للإلحاد ، يغريهم بالمال ، ويرفع مكانتهم بالزيف والباطل .

وقد وجد بالأقطار الإسلامية من لبى دعوة الاستعمار ، واصبح من دعاته .

أما فى الهند ، فقد أسس الاستعمار مدرسة لتعليم الإلحاد ، كانت هى السبب فى أن أخرج لنا السيد جمال الدين الأفغانى رسالته الطريفة ، فى الرد على « الدهريين »

والحق : أن الاستعمار وجد أقلاما داخل الأقطار الإسلامية نفسها ، ولكنه لم ينته إلى الثمرة التى أراد .

فالاستجابة لهذه الأقلام ، وخروج المسلمين من دينهم كان ، ولا يزال ، معدوما أو شبه معدوم .

بيد أنه من المؤسف حقا ألا تكون الحملة الفكرية ضد الآراء الإلحادية منظمة تنظيما يدعو إلى التفاؤل والطمأنينة . . .

هل أوجه اللوم إلى الأزهر أيضا ؟ . . . إن منزلة الأزهر فى نفوس المؤمنين من المصريين ، ومن المسلمين عامة ، منزلة كبيرة .

والمسلمون ، فى ج . ع . م وخارج ج . ع . م ، ينتظرون من الأزهر الكثير .

ويرجون أن يكون الأزهر : قادته ، ومدرسوه ، وطلبته ، جنودا فى سبيل الله

وإذا كان الاستعمار لم يكتب له النجاح فى دعوته الخبيثة . فإنه قد نجح فى إيجاد طائفتين بين المسلمين — محدودتى العدد لا شك فى ذلك — تتطلبان علاجا .

أما إحداهما : فهى طائفة مثقفة ، قرأت الأقلام التى استأجرها الاستعمار ، وقرأت ما عندنا من كتب معقدة كتبت فى عهود التدهور الفكرى الإسلامى ، فثارت بعض الاضطرابات فى نفسها ، بعض البلبلة فى خواطرها . . .

وانتهى الأمر إلى الضيق النفسى الذى يتطلب الهدوء ، ويسعى إلى الطمأنينة ، ويأمل فى رحمة الله غوثا وإنقاذا ! ! !

وطائفة أخرى مطمئنة هادئة ، لم يثر فى نفسها شك ، ولم يتخلل إيمانها ريبة ، ولكنها تريد وتتلمس الكشف عن أساس إيمانها ! ! !

كيف عالج الإسلام هذا الموضوع ، وما هو المنهج الذى سار عليه ليرسى قواعده وطيدة مدعومة ؟

وهل سار علماء الكلام الإسلاميون وفق ما رسمه الإسلام فى هذا المجال ؟ وما المسلك الذى ينبغى أن نسير عليه الآن ؟

هذه جوانب من الموضوع نرجو أن يعالجها حملة الأقلام من المسلمين النابهين ومن الله نستلهم الرشاد والتوفيق .